دور المسلمين في صناعة الأقلام

د. محمد عبد الستار عثمان

تعددت مسميات القلم – الذي هو أداة الكتابة – فمنها المذبر أو المزبر الذي يزبر به أي يكتب به(١) وقيل البراع(٢) والمرقم(٣) ولكن أكثر هذه التسميات شيوعاً «القلم»(٤) وقد تعددت الآراء كذلك حول اشتقاق هذه التسمية، فقيل القلم، لأنه قُلِمَ أي قُطِعَ وسُوِّي كما يقلم الظفر، وكل عمود يقطع ويحز رأسه ويقلم بعلامة فهو قلم، وكذلك قيل للسهام أقلام. قال الله تعالى «إذْ يُلْقُون أقلامَهم أَيُّهم يكفلُ مريمَ»(٥) وكانت سهاما مكتوبة عليها أسماؤهم(٦) وذكر القلقشندى أنها سميت أقلاما لاستقامتها كالقداح، وقيل هو مأخوذ من القُلاَم وهو شجر رخو، فلما ضارعه القلم سمى قلما(٧) ورجح البعض هذا الرأي الأخير(٨).

وتشير الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى أهمية القلم، فقد قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم «إن أول ما خلق القلم» أو «إن أول ما خلق الله البراع ثم خلق من البراع القلم» ولذلك فإن القلم أشرف أدوات الكتابة وأعلاها رتبة، وغيرُه من آلات الكتابة كالأعوان، ويؤكد ذلك الشرف أن الله تعالى أقسم به قائلا «نّ والقلم وما يسطرون»(٩) كما ربط النص القرآني بين القلم والتعليم فقال تعالى: «اقرأ وربك الأكرم، الذي علَّم بالقلم»(١٠).

وتكشف أقوال الحكماء والبارزين في التاريخ الإنساني كله عن منزلة القلم وأهميته(١١) ويكفي أن نشير إلى أن أثره فضيلة الخط الذي «هو لسان اليد، ورسول الضمير، ودليل الإرادة الناطق عن الخواطر، وسفير العقول، ووحي الفكر وسلاح المعرفة، ومحادثة الأخلاء على التنائي وأنس الإخوان عند الفرقة، ومستودع الأسرار، وديوان الأمور وترجمان القلوب، والمعبر عن

النفوس، والمخبر عن الخواطر، ومورث الآخر مكارم الأول، والناقل إليه مآثر الماضي، والمخلد له حكمته وعلمه والمسامر للعين بسر القلب، والمخاطب عن الناصت، والمجادل عن الساكت والمفصح عن الأبكم، والمتكلم عن الأخرس، الذي تشهد آثاره بفضائله وأخباره بمناقبه»(١٢).

وكل هذا وذاك يشير إلى أن صناعة القلم «أفضل الصنائع وأجل البضائع»(١٣) ولهذه الأهمية نال القلم اهتمام جميع الأمم منذ أن عرفت الكتابة، واختلفت أشكاله والمواد التي يصنع منها باختلاف المواد التي يكتب عليها، فكانت الأقلام تتخذ عند السومريين القدماء من أهل العراق من الحديد أو الخشب ليضغط بها على الطين لرسم الخطوط المسمارية، ومنها ما كان يكتب من الرأسين، وفي مصر كتب الفراعنة على الأحجار بأقلام الحديد(١٤) ونقشوا أدق الصور وكتبوا على البردى بقلم «البوص أو الفرجون»(١٥).

واستخدم العرب في الجاهلية القلم في التدوين، وعندما كانت تُلجئهم الحاجة إلى أن يسجلوا بعض شئونهم، في وقت لا يكون معهم قلمهم المبرى المقطوط ودوِيُهم الملأى بالمداد، كانوا يستخدمون غالبا مواد طباشيرية أو فحمية تترك أثرها على ما يكتب عليه، بل إنهم استخدموا أدوات حادة كالسكين لنقش الكتابة على المواد الصلبة.(١٦)

وتشير النصوص إلى أن القلم في الجاهلية كان «مصنوعا من القصب، يقط ويقلم أو يبرى ثم يغمس في مداد الدواة ويكتب به»(١٧). فعن عبد الله بن حنش قال: «رأيتهم يكتبون على أكفهم بالقصب عند البراء»(١٨) واذا كان العرب قد اهتموا بتجويد الخط وإتقانه في ذلك العصر، فإن النتيجة المنطقية لذلك، هي أن يعتنوا بصناعة القلم، أداتهم لذلك.

وأدرك المسلمون أهمية القلم، وعنُوا بصناعته، خاصة وأن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حث على صناعة الأقلام، فقد روى أنه قال: «من قلّم قلما يكتب به علما أعطاه الله شجرة في الجنة خير من الدنيا وما فيها»(١٩) وكان لنزول القرآن باللغة العربية، وانتشار الإسلام وتأسيس دولته، ثم ما صاحب ذلك من مراحل تحوّل حضارية كالتعريب والترجمة ومعرفة العرب بصناعة الورق، هذا بالإضافة إلى ظهور مواهب الخطاطين المسلمين الذين أجادوا فنون الخط وعملوا على إتقانه، أثر كبير في تطور صناعة القلم.

واستخدم لب الجريد الأخضر في صناعة الأقلام، لكن استخدام القصب في صناعتها كان

سائدا(٢٠) لما له من مزايا، فالأقلام المصنوعة من القصب تظَهر قواعد الخط، وهي سهلة الاستعمال، وطوع يد الكاتب يقطعها كما يشاء، بحسب حجم الكتابة ونوع الخط (٢١) بالإضافة إلى أن متانته تسمح بكتابة رفيعة جداً(٢٢).

وكان نبات القصب يختلف جودة وصلاحية لصناعة الأقلام، باختلاف بيئته وتربته. ونسبت الأقلام إلى بيئتها أو تربتها، فنجد الأقلام الصخرية والبحرية والمصرية والفارسية والنبطية وغيرها. وكان لكل نوع منها مميزاته أو عيوبه التي عرفها الكتاب، ففضلوا بعضها على البعض الآخر في صناعة الأقلام.

واتفق على أن أجود أنواع القصب في صناعة الأقلام بصفة عامة «ما استحكم نضجه، وخف بزره، وقد ساعدت عليه السعود في فلك البروج حولاً كاملاً، تؤلفه بمختلف أركانها وطباعها، وتباين أنوائها وأنحائها، حتى إذا بلغ أشده واستوى، وشقت بوازله ورقت شمائله، وابتسم عن غشائه، وتأدى من لحائه، وتعرى عن ثوب المصيف بانقضاء الخريف، وكشف عن لون البيض المكنون، والصدف المخزون قطع ولم يعجل من تمام مصلحته، ولم يؤخر إلى الأوقات المخوفة عاهاتها عليه من خصر الشتاء، وعفن الإيذاء، فجاء مستوى الأنابيب معتدلها، مثقب الكعوب مقومها»(٢٣) وقد حرر الوزير على بن مقلة(٢٤) مناط الحاجة من هذه الأوصاف، واقتصر على الضروري منها في ألفاظ قلائل فقال:

«خير الأقلام ما استحكم نضجه في جرمه، وبعد أن اصفر لحاؤه ورق شجره وصلب شحمه، وثقل حجمه(٢٥)».

وكان القصب الصخرى من أجود أنواع القصب التي يفضلها الكتاب في صناعة الأقلام، حتى أن هناك من أهدى صاحبه مجموعة من الأقلام الصخرية، ذكر له محاسنها فقال إنها: «من القصب النابت في الصخر، الذي نشف بعد الهجير، في قشره ماؤه، وستره من تلويحه غشاؤه، وهي كالآلىء المكنونة في الصدف والأنوار المحجوبة في السدف، تبرية القشور، درية الظهور فضية الكسور، وقد كستها الطبيعة جواهراً كالوشى المحبّر، ورونقا كالديباج المنيّر(٢٦)، وكشفت الخبرة لدى الكتاب عن أن هذه الأقلام الصخرية «أجرى في الكواغد وأمر في الجلود»(٢٧).

كذلك كان القصب البحري من الأنواع المفضلة في صناعة الأقلام، لأنها «أملس في

القراطيس، وألين في المعاطف، وأشد لتصرف الخط فيها» كما أنها «موشية الليط، رائقة التخطيط كأن داخلها قطرة دم، أو حاشية رداء معلم، وكأن خارجها أرقم، أو متن واد مفعم، نشرت ألوانا تزرى بورد الخدود، وأبدت قامات تفضح تأوّد القدود»(٢٨).

وكانت الأقلام المصنوعة من القصب المصري من بين هذه الأنواع المفضلة، لأنها «بيض كأنها قباطى مصر نقاء، وغرقىء البيض صفاء، غذاها الصعيد من ثراه بلبه، وسقاها النيل من غبره وعذبه، فجاءت ملتئمة الأجزاء، سليمة من الالتواء، تستقيم شقوقها في أطوالها، ولا تنكب عن يمينها ولا شمالها مقترن بها صفراء، كأنها معها عقيان قرن بِلُجَين، أو ورق خط بعين، تختال في صفر ملاحفها، وتميس من مذهب مطارفها بلون غياب الشمس وصبغ ثياب الورس(٢٩). وقد أدرك الكتاب بخبرتهم جميع أنواع القصب ما حسن منها وما ساء حتى أن أحدهم ليقول لصبي يعلمه الخط: «إن أعوزك البحري والفارسي واضطرت إلى الأقلام النبطية فاختر منها ما يميل إلى السمرة»(٣٠).

وكان من أوجه التفضيل جمال الشكل وحسنه، فكان يفضل من الأنابيب «ما ناسبت رماح الخط(٣١) في أجناسها، وشاكلت الذهب في ألوانها، وضاهت الحرير في لمعانها، مضابطة الجفاء، نمرة القوى، لا يسيطها القط، ولا يشعب بها الخط»(٣٢))

وإذا كانت متانة القصب عن غيره من المواد التي تصلح لصناعة الأقلام سببا في تفضيله فلقد كانت أيضا من الصفات التي كان لها دور في تفضيل نوع من القصب على غيره. فكان الكتاب يفضلون أقصابا «لا ينقصها ضعف ولا خور، ولا يشينها لين ولا رخاوة، ولا يعيبها كزازة ولا قساوة، صلبة المعاجم، لدِنة المقاطع، موفية القدود والألوان محمودة المخبر والعيان، وقد استوى في الملاسة داخلها وخارجها، وتناسب في السلاسة عاليها وسافلها(٣٣).

وباختلاف هذه الأوصاف من موطن إلى آخر، اختلفت جودة الأقلام باختلاف جودة الأقصاب التي تصنع منها، ولكن الكاتب كان يبحث عن الأقصاب الجيدة في مظانها، ليصنع منها أقلامه، ولو اضطر إلى جلبها من بلد خارج موطنه، فقد أرسل أحدهم وهو في خرسان إلى صاحبه ببغداد ليرسل إليه بأنواع جيدة من القصب لندرة الجيّد منها في موطنه(٣٤).

ويقال للقصب البراع والأباء، وقال قوم: «الأباء أطراف القصب ويقال لعقد الصب الكعوب، ويقال لما بين عقده الأنابيب»(٣٥) ويقال لباطنه: الشحمة ولظاهره الليط، ويقال

للقطن الذي في جوف القصبة البيلم والسقصف والقيسع ، ويقال لغشائه الذي عليه : الغلاف واللحاء والقشر»(٣٦) .

وقد أشار الكتاب إلى حجم القلم ومقاسه ، ومنهم من أشار إلى ذلك إشارة عامة فقال «أحمد الأقلام ما توسطت حالته في الطول والقصر والغلظ والدقة ، فإن الدقيق الضئيل تجتمع عليه الأنامل فيبقى مائلاً إلى ما بين الثلث ، والغليظ المفرط لا تحمله الأنامل» ولكن ابن مقلة ذكر تحديداً لذلك فقال : «خير الأقلام ما كان طوله من ستة عشرة اصبعا إلى اثنى عشر ، وامتلاؤه ما بين غلظ السبابة إلى الخنصر» وفي موضع آخر يقول «أحسن قدود القلم ألا يتجاوز به الشبر بأكثر من جفلته»(٣٧) ويشهد له قول الشاعر :

فتى لو حوى الدنيا لأصبح عاريا   من المال معتاضا ثيابا من الشكر
له ترجمان أخرس اللفظ صامت   على قاب شبر بل يزيد على الشبر(٣٨)

ويتضح من هذا أن مقاييس القلم ارتبطت ارتباطا منطقيا بمقاييس إنسانية ، كان لها أثرها فيما اتصل بالقلم من أدوات ، سواء التي تستعمل في صناعته كالمبراة أو السكين والمقط وغيرها ، أو أدوات الكتابة كالدواة ، أو المقلمة التي يحفظ بها أو يوضع فيها والتي كانت غالبا متصلة بالدواة ونادرا ماانفصلت عنها .

وبرّاية القلم من العمليات الأساسية في صناعته ، إذ القلم لا يسمى قلما حتى يبرى ، وإلا فهو قصبة(٣٩) ومن هنا ، أشار الكتاب إلى أهمية تعلم البراية واتقانها ، وحثوا على ذلك ، بل إنهم بالغوا في إظهار ذلك حتى أن بعضهم قال : «إن تعلم البراية أكبر من تعلم الخط» ومن قائل «إن الخط كله القلم» . ولكن الأمر لا يصل إلى هذا الحد من المبالغة ، خاصة وأن هناك من أجاد الخط بقلم غير حسن البرى ، ولكن الذي لا شك فيه أن برى القلم من الأعمال المهمة في صناعته ، وبإجادتها يجود القلم ، وبالتالي يحسن خطه ومن ثم حث الكتاب عليها ، فقال ابن مقلة «ملك الخط حسن البراية ، ومن أحسنها سهل عليها الخط ، ولا يقتصر على علم فن منها دون فن ، فإنه يتعين على من يتعاطى هذه الصناعة أن يحفظ كل فن منها على مذهب من زيادة في التحريف ومن النقصان منه ، ومن اختلاف طبقاته ، ومن وعي قلبه كثرة أجناس القلم كان مقتدراً على الخط ، ولا يتعلم إلا عاقل»(٤٠) وقال بعضهم «من لم يحسن الاستمداد وبري القلم

والشق والقط وإمساك الطومار وقسمة حركة اليد حين الكتابة فليس هو من الكتابة في شيء»(٤١).

وقيل كذلك إن الكاتب يحتاج «إلى خلال منها: جودة بري القلم وإطالة جلفته وتحريف قطته»(٤٢).

وكانت السكين(٤٣) هي الأداة المستعملة في بري الأقلام(٤٤) وكانت تلازم القلم كالدواة عند الكتابة(٤٥) لحاجة استخدامها في بري القلم من حين لآخر. وكانت تحد على المسن، وهو نوعان: أكهب اللون ويسمى الرومي وأخضر وهو على نوعين: حجازي وقوصي. والرومي أجودهما والحجازي أجوده الأخضر(٤٦) وكانت السكين تحفظ في قراب.

ويبين الكتاب قدر السكين في بري الأقلام، فيذكر بعضهم أنها «مسن الأقلام تستحد بها إذا كلّت، وتطلق بها إذا وقفت، وتلمها إذا تشعثت، فتجب المبالغة في سقيها واحدادها ليتمكن من البري، فيصْفُو جوهر القلم، ولا تتشظى قطته، وينبغي ألا يستعملها في غير البراية لئلا تكلّ وتفسد»(٤٧) وكان الحرص شديدا على أن تكون حادة لتكون البراية جيدة(٤٨).

ولهذه المنزلة للسكين في صناعة الأقلام فضل البعض أنواعا معينة ذوات صفات محددة، فقال بعضهم: «أحسنها ما عرض صدره، وأرهف حده، ولم يفضل من القبضة نصابه، واستوى في غير اعوجاج». وفضل بعض الكتاب العقابية، وهي التي صدرها أعرض من أسفلها.(٤٩) وقال ابن المدبر «استعمل لبري القلم سكينا طواويسيا مذلق الحد وميض الظرف(٥٠).

كذلك حدد وضع الأنبوبة عند البري فقال: «تفقد الأنبوبة قبل بريها لئلا تجعلها منكوسة، وابرها من ناحية نبات القصبة.(٥١) يعنى أعلاها اذا كانت قائمة على أصلها، أما إذا كان الأنبوب معوجا ودعت الضرورة إليه فالبرية من أسفله، لأن أسفله أقل التواء من أعلاه(٥٢).

وذكر البربري(٥٣) أسلوب استخدام السكين في البري فقال: «إذا بدأت بالبراية فأمسك السكين باليد اليمنى والأنبوبة باليد اليسرى وضع إبهامك اليمنى على قفا السكين، ثم اعتمد الأنبوبة اعتماداً رفيقاً(٥٤).

وقال القلقشندي: «اعلم أن البري يشتمل على معان: المعنى الأول في صفته ومقداره في الطول والتقعير». وقال الوزير ابن مقلة: «يجب أن يكون القلم في الصلب أكثر تقعيرا وفي الرخو أقل، وفي المعتدل بينها، وصفته أن تبتدىء بنزولك بالسكين على الاستواء، ثم تميل القطع إلى ما يلي رأس القلم، ويكون طول الفتحة مقدار عقدة الابهام، أو كمناقير الحمام، وإلى ذلك أشار الشيخ علاءالدين السرمرى في أرجوزته بقوله:

وطولها كعقدة الابهام لا   أعلى ولا أدنى يكون أرذلا(٥٥)

وقد أشار الكتاب إلى حسن تطويل جلفة القلم، فقال ابن البواب(٥٦) «قلم تقصر جلفته، فإن الخط يجيء به أوقص، والوقص قصر العنق، وكأنه يريد بالقصر ما دون عقدة الابهام». وقال الصولى أطل خرطوم قلمك، فقيل له: أله خرطوم ؟ قال: نعم، وأنشد:

كأن أنوف الطير في عرصاتها   خراطيم أقلام تخط وتعجم(٥٧)

وذكر أن عبد الحميد الكاتب قال: لرغبان وكان يكتب بقلم قصير البرية: أتريد أن يجود خطك ؟ قال نعم، قال: فأطل جلفة قلمك وأسمنها، وحرف القطة(٥٨) وأيمنها، قال رغبان: ففعلت ذلك فجاد خطى(٥٩) .

ثم يلي ذلك النحت(٦٠) وقال ابن مقلة «هو نوعان: نحت حواشيه ونحت بطنه، أما نحت حواشيه فيجب أن يكون متساويا من جهتي السن(٦١) معاً، ولا يحمل على إحدى الجهتين فيضعف سنه، بل يجب أن يكون الشق متوسطاً لجلفة القلم دق أو غلظ. قال: ويجب أن يكون جانباه مسيفين والتسييف: أن يكون أعلاه ذاهباً نحو رأس القلم أكثر من أسفله، فيحسن جرى المداد من القلم، قال: أمانحت بطنه فيختلف بحسب اختلاف الأقلام في صلابة الشحم ورخاوته، فأما الصلب الشحمة(٦٢) فينبغي أن ينحت وجهه فقط، ثم يجعله مسطحا، وعرضه كقدر عرض الخط الذي يؤثر الكاتب أن يكتبه، وأما الرخو الشحمة فيجب أن يستأصل شحمته حتى تنتهي إلى الموضع الصلب من جرم القلم، لأنك إن كتبت بشحمته تشظى القلم ولم يصف جريانه(٦٣) .

وفي هذا الأمر يقول ابن البربري:

(لا تقصع البراية ولا تخالف بين حدي القلم، فإن ذلك حياكة، وإن كان كذلك يكون

القلم أحوال(٦٤) ويقول ابن المدبر: «وأرهف ما قدرت جانبي قلمك ليرد ما انتشر من المداد، ولا تطل شقه، فإن القلم لا يمج المداد من شقه إلا بمقدار ما احتملت شبتاه، فارفع شبتيه ليجمعا لك حواشي تخضيره(٦٥).

ويخلص القلقشندي إلى أن الجلفة على أنحاء حسب نوع الخط الذي يراد كتابته بهذا القلم أوذاك منها: «أن يرهف جانبي البرية، ويسمن وسطها شيئاً يسيراً، وهذا يصلح للمبسوط والمعلق والمحقق، ومنها ما يستأصل شحمته كلها، وهذا يصلح للمرسل والممزوج والمفتح، ومنها ما يرهف من جانبه الأيسر ويبقى فيه بقية من الأيمن و هذا يصلح للطوامير وما شابهها، ومنها ما يرهف من جانبي وسطه ويكون مكان القطة(٦٦) منه أعرض مما تحتها وهذا يصلح جميع قلم الثلث وفروعه»(٦٧).

وكان شق القلم من الأمور الفنية المهمة الضرورية، فيذكر ابن مقلة أنه: «لوكان القلم غير مشقوق ما استمرت به الأنامل، ولا اتصل به خط الكاتب، ولكثر الاستمداد وعدم المشق، ولمال المداد إلى أحد جانبي القلم على قدر ميل الكاتب له(٦٨) وكان أسلوب شق القلم يختلف باختلاف درجة متانة القصب الذي يصنع منه القلم واختلاف درجاتها بين الصلابة والرخاوة، فمتوسط الصلابة يشق إلى مقدار نصف الفتحة أو ثلثيها لأنه إذا زاد عن ذلك انفتحت سنا القلم حال الكتابة، وفسد الخط حينئذ، وإذا كان صلباً وجب أن يكون شقه إلى آخر الفتحة، وربما زاد على ذلك بقدر إفراطه في الصلابة. وقد نظم السرمرى في أرجوزته ما يشير إلى ذلك، فقال

اعلم بأن الشق أيضا يختلف بحسب الأقلام فأفهم ما أصف
فان يَكُ معتدلا شق إلى مقدار ثلث الجلفة انقل واقبلا
والرخو للنصف أو الثلثين زد والصلب بالفتحة ألحق تستفد
وربما زاد على ذلك إذا أفرط في الصلابة اعرف ذا وذا(٦٩)

أما عن موضع الشق فإنه يجب أن يكون متوسطا – كما ذكرنا – ويجوز أن يكون السن الأيمن أغلظ من الأيسر ولا يجوز العكس إلا إذا كان القلم ليكتب به خط غير العربي ويكتب من اليسار إلى اليمين.

ثم يلي ذلك قط القلم، ويفضل أن يكون ذلك بالنسبة للأقلام التي يعاد بريها بعد أن تجف، فقد نصح الصولى بألا تقط «مبلولا حتى يجف لئلا يتشظى»(٧٠) ويختلف أسلوب قط القلم باختلاف الخطوط التي يراد كتابتها بهذا القلم أو ذاك. وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف(٧١) : «القط على نوعين، النوع الأول المحرف وطريقة بريه أن يحرف السكين في حال القط، وهو ضربان قائم ومصوب، أما القائم فهو ما جعل فيه ارتفاع الشحمة كارتفاع القشرة، وأما المصوب فهو ما كان القشر فيه أعلى من اللحم، والنوع الثاني المستوي، وهو ما تساوى سناه واجودهما المحرف. وذكر أن «أجود الأقلام المحرفة المعتدلة» وكذلك ذكر ابن مقلة أن أحمد الأقلام ما كان ذا سن مرتفع من الجهة اليمنى ارتفاعاً قليلاً إذا كان القلم مصوبا، وهذا هو معنى التحريف، وإن كانت الكتابة آخذة من اليسار الى اليمين كالقبطية، فيكون السن الأيسر هو الذي يرتفع.

وهناك من الكتّاب غير المعتد بهم من لم يتبع هذه القواعد في قط القلم، فصار الشحم من القلم هو المشرف على ظاهره، ولذلك جاء خطهم رديئا(٧٢) .

وكان السكين والمقط هما الأداتان المستعملتان في تنفيذ هذه العملية فالسكين للقط، والمقط هو الآلة التي يوضع عليها القلم لقطه، وقال الصولى إنه ينبغي أن يكون المقط صلباً فتمضي القطة مستوية(٧٣) وقال ابن مقلة «إذا قططت فلا تقط إلا على مقط أملس غير ملثم ولا خشن لئلا يتشظى القلم» وقال الشيخ عمادالدين: «ويتعين أن يكون من عود صلب كالابنوس أو العاج، ويكون مسطح الوجه الذي يقط عليه ولا يكون مستديرا، لأنه إذا كان مستديراً تشظى القلم وربما تهلت القطة، فتأتي الإدارات والتشعيرات غير جيدة، وينبغي ألا يكون مانعاً كالحديد ونحوه، فإن ذلك يفسد السكين ولا تجيء القطة صالحة(٧٤).

وذكر ابن مقلة طريقة القط فقال: «أضجع السكين قليلا إذا عزمت على القط ولا تنصبها نصباً» يريد بذلك أن تكون القطة أقرب إلى التحريف وأن تكون مصوبة(٧٥) .

وهناك علاقة وثيقة بين طريقة قط القلم، ونوع الخط الذي يكتب به فقد سئل الشيخ عمادالدين بن العفيف عن الكتابة بالأقلام والتحريف **والتدوير فقال**: «الرقاع والتوقيع أميل إلى التدوير بين بين، قطة القلم مربعة، والنسخ والمحقق والمشعر أميل إلى التحريف، والمحقق أكثر تحريفاً منها». وقال ابن البواب «إن لكل قلم خط صفة، فقطة الريحاني أشد تحريفاً، ثم يقل

التحريف في كل نوع من أنواع قط القلم حتى تكون الرقاع أقلها تحريفاً(٧٦) .

ويقول ابن المدبر: «أما قط القلم فعلى قدر القلم الذي يتعاطاه الكاتب من الخط (٧٧) ومن هنا كانت مساحة رأس القلم تختلف بإختلاف الأقلام التي جرى الاصطلاح عليها بين الكتاب. ويذكر القلقشندي أن أعظمها وأجلها وأكثرها مساحة في العرض هو قلم الطومار، وهو قلم كانت الخلفاء تعلم به المكاتبات وغيرها، وصفته أنه يؤخذ من لب الجريد الأخضر، ويؤخذ منه أعلى الصفحة ما يسع رؤوس الأنامل ليتمكن الكاتب من إمساكه، فإذا كان على غير هذه الصورة ثقل على الأنامل، ولا تحتمله، ويتخذ أيضا من القصب الفارسي (٧٨) ولا بد من ثلاثة شقوق لتسهل الكتابة به، ويجري فيه المداد وله قلم دونه يسمى مختصر الطومار، وبه يكتب النواب والوزراء ومن ضاهاهم الاعتماد على المراسيم ونحوها، وقدروا مساحة عرضه من حيث البراية بأربع وعشرين شعرة من شعر البرذون(٧٩) معترضات، وهو لما دونه من الأقلام قلم الثلثين من هذه النسبة مقدر بست عشرة شعرة، وقلم النصف مقدر باثنتي عشرة شعرة وقلم الثلث مقدر بثمان شعرات، ومختصر الطومار ما بين الكامل والثلثين، وكل من هذه الأقلام فيه ثقيل، وهو ما كان إلى الشبع أميل، وخفيف وهو ما كان إلى الدقة أقرب وإذا تقرر ذلك فطول الألف في كل قلم معتبر بأن تضرب نسبة عرضه في مثله ويجعل طولها نظير ذلك، ففي قلم الطومار يضرب مقدار عرضه وهو أربع وعشرون شعرة في مثلها خمسمائة وست وسبعين شعرة وهو طولها، وفي قلم الثلث تضرب بنسبة عرضه في الطومار وهو ثمان شعرات في مثلها بأربع وستين، فيكون طولها أربعاً وستين شعرة وكذلك الجميع فاعلمه»(٨٠) .

ولهذه العلاقة بين الأقلام وأنواع الخط يذكر ابن مقلة أنه يجب أن «تكون بدواة الكاتب . من الأقلام على عدد ما يؤثره من الخطوط، وكأنه يريد أن يكون في دواته قلم مبري، أي القلم الذي هو بصدد أن يحتاج إلى كتابته ليجده مهيأً فلا يتأخر لأجل برايته»(٨١).

وقد أشار الكتّاب كذلك إلى وجوب الملاءمة بين نوع المادة التي يكتب عليها وبين القلم، فقال ابن المدبر: «اختر من الأنابيب القلم الذي يصلح لكتابة القراطيس، أقله عقدا، وأكثفه لحماً وأصلبه قشرا، وأعدله استواء، وتجنب الأقلام الفارسية ما استطعت، فإنها لا تصلح إلا للكواغد والرقوق»(٨٢) وإذا كانت الصحيفة التي يكتب عليها «ليّنة ينبغي أن يكون القلم لين الأنبوب وفي لحمه فضل، وفي قشره صلابة، وإن كانت صلبة كان يابس الأنبوب صلبه،

ناقص الشحم لأن حاجته إلى كثرة الاستمداد في الصحيفة الرخوة أكثر من حاجته إليه في الصحيفة الصلبة، فرطوبته ولحمه حفظان عليه غزارة الاستمداد، ويكفي في الصحيفة الصلبة ما وصل إليها في القلم الصلب، الخالي من المداد»(٨٣) .

وقد نظم ابن البواب رائية رائعة تلخص في بلاغة صناعة الخط وأدواته. وقد ذكر ابن خلدون أنها أحسن ما كتب في هذا المجال(٨٤) ومن الأبيات التي أوجز فيها طريقة صناعة القلم هذه الأبيات:

أعد من الأقلام كل مثقف   صلب يصوغ صناعة التحبير
وإذا عمدت لبريه فتوَخّهُ   عند القياس بأوسط التقدير
وانظر إلى طرفيه فاجعل بريه   من جانب التدقيق والتحضير
واجعل لجلفته قواما عادلا   خلواً من التطويل والتقصير
والشق وسطه ليبقى بريه   من جانبيه مشاكل التقدير
حتى إذا أتقنت ذلك كله   فالقط فيه جملة التعبير
لا تطمعن في أن أبوح بسره   إني أضن بسره المستور
لكن جملة ما أقول بأنه   ما بين تحريف إلى تدوير

وتجنب الإشارة إلى أن فن صناعة القلم كانت تتوارثه الأجيال خلفا عن سلف ولا أدل على ذلك من شرح ابن وحيد – في العصر المملوكى – لرائية ابن البواب(٨٥) – سالفة الذكر – والتي أفاد منها أبناء عصره بعد أن عرضها ميسورة بأسلوب عصره(٨٦) كذلك طورت هذه الصناعة بتطور الخطوط التي ابتدعها الكتاب، والتي تطلبت أقلاما بمميزات خاصة، تُمكن من إخراج هذه الخطوط.

ومما سبق يتضح أن صناعة القلم بهذه الطريقة كانت لتلبى حاجة الكتابة بخطوط متنوعة، وتلائم كذلك المادة التي يكتب عليها، وقد أدرك الكتاب ذلك فأنتخبوا أقلاما تفي بهذه المتطلبات، لتخرج خطوطهم في النهاية جميلة رائقة.

وكانت الأقلام المصنوعة من القصب بهذه الطريقة تحتاج إلى أدوات أخرى حتى يمكن الكتابة بها، فهي في حاجة الى الدواة(٨٧) التي تمدها بالمداد(٨٨) .

وكذلك كانت تستخدم أدوات أخرى لتنظيف القلم والمحافظة عليه كالوقيعة(٨٩) وهي خرقة يمسح فيها الكاتب قلمه، وكذلك الرغميد أو الغلاف أو القمجار وهو ما يدخل فيه القلم للمحافظة عليه(٩٠) وتعتبر المقلمة من أشهر أدوات الحفاظ على الأقلام وقد تكون من الدواة نفسها، أو تكون منفصلة عنها وقد لا تعد من آلات الكتابة لكونها من جملة الدواة غالبا.

وتضم متاحف العالم والمجموعات الخاصة نماذج عديدة رائعة من المقلمات(٩١) تحليها الزخارف النباتية والهندسية والكتابية، بأسلوب العصر الذي صنعت فيه. ومن أمثلة ذلك مقلمة في متحف الفن الاسلامي من النحاس يبلغ طولها ٢٥ سنتيمترا وارتفاعها ٤ سم وعرضها ٦ سم عليها كتابات نصها أنها «لخزانة مولانا الامام الرباني الأعظم والصدر المعظم مفتي الفرق لسان الحق علامة العالم سلطان العلماء (عمدة) الأنام كنز الحقائق أفضل المتأخرين محيي الدين حجة الاسلام محمد الغزالي» ويمكن تأريخها قبل سنة ٥٠٥هـ/١١١١م وهي السنة التي توفى فيها الغزالي(٩٢)

ومن أشهر المقلمات التي يحتفظ بها متحف الفن الاسلامي أيضا واحدة من النحاس باسم الملك المنصور محمد المتوفي سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م ويبلغ طولها ٣٢ سم وارتفاعها ٨ سم وعرضها ٩ سم، وقوام زخرفتها أشكال متنوعة من فروع نباتية دقيقة وزهور مفتحة وخطوط هندسية متشابكة، فضلا عن رسوم بط في غاية الدقة والإتقان، وهذه الزخارف موزعة توزيعا حسنا فيه تراصف وتماثل وانسجام، ولعبت الزخارف الكتابية دورا جمالياً بارزاً في هذه المقلمة فتنوعت ما بين أشرطة وميداليات ونفذت بالخط الكوفي والخط النسخ بأحجام مختلفة، وتضمنت ألقاب السلطان الملك محمد والدعاء له(٩٣) .

وبمتحف الآثار العربية ببغداد كذلك مقلمة محبرة يبلغ طولها ٣٠ سم وعرضها ٧٫٥ سم وارتفاعها ٦٫٥ سم، وتزخرفها زخارف شتى من العناصر الزخرفية المألوفة في التحف المملوكية، مثل الوريدات والفروع النباتية والوريقات وزهرة السوسن الصينية، وعلى غطائها زخارف كتابية، تتضمن بعض الألقاب التي انتشرت في العصر المملوكي نصها «المقر العالي المولدي الأميري المالكي الملكي» وهذا يدل على أنها كانت لشخصية هامة تمتعت بهذه الألقاب. ومن بين الكتابات التي بظهر غطاء المقلمة بيت من الشعر، يتصل بوظيفة المقلمة التي تشتمل غالبا على الدواة، ونصه:

اذا فتحت دواة العز والنعم   فاجعل مدادك من جود ومن كرم(٩٤)

ومن هذه النماذج يتضح الاهتمام البالغ بصناعة المقلمة، فهي تصنع من النحاس غالبا وتجمّل بشتى أنواع الزخارف، وتتخذ مقاييس تناسب حجم الأقلام التي توضع بها، ومن هنا تقاربت مقاييسها إلى حد بعيد.

ومن بين هذه الأدوات التي تستخدم في المحافظة على القلم، المفرشة التي تفرش تحت الأقلام، وما في معناها مما يكون في بطن الدواة(٩٥) .

وقد سعى المسلمون إلى تطوير القلم، بحيث يكون أداة متكاملة لا حاجة له إلى الدواة التي تمده بالمداد، والتي تلازمه ملازمة دائمة، ويصعب حملها والتنقل بها في كل وقت. وقد حدث هذا التطوير في بداية القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي على يد أحد الخلفاء الفاطميين البارزين. وكان ذلك بتخيل الصورة التي يكون عليها قلم ممتلىء بالحبر في جوفه، ولا يحتاج إلى دواة معه، ووصْف هذا التخيل للصانع ومتابعة التنفيذ.

وكان الخليفة (المعز لدين الله الفاطمي) هو صاحب الفضل في اختراع القلم النباع، أو ما يسمى بالمصطلح الحديث (القلم الحبر) وهو قلم يستخدم في الكتابة دون الحاجة إلى الاستمداد من الدواة، لأنه يزود بالحبر من داخله فتذكر الرواية التاريخية أن المعز قال في حضرة القاضي النعمان بن محمد: «نريد أن نعمل قلما يكتب به بلا استمداد من دواة، يكون مداده من داخله، فمتى شاء الإنسان كتب به فأمدّه، وكتب بذلك ما شاء، ومتى شاء تركه فارتفع المداد وكأن القلم ناشفا منه، ويجعله الكاتب في كمه أو حيث شاء فلا يؤثر فيه، ولا يرشح شيء من المداد عنه، ولا يكون ذلك إلا عندما يبتغي منه ويراد الكتابة به، فيكون آلة لم نعلم أنّا سُبقنا إليها، ودليلاً على حكمة بالغة لمن تأملها، وعرف وجهه المعنى فيها» فقلت: «ويكون هذا يا مولانا – عليك سلام الله ؟ قال «يكون إن شاء الله». فما مر بعد ذلك إلا أيام قلائل حتى جاء الصانع الذي وصف له الصنعة به معمولاً من ذهب فأودعه المداد وكتب به فكتب، وزاد شيئا من المداد على قدر الحاجة، فأمر باصلاح شيء منه فأصلحه، وجاء به فإذا هو قلم يقلب في اليد، ويميل إلى كل ناحية، فلا يبدو منه شيء من المداد فإذا أخذه الكاتب وكتب به كتب أحسن كتاب ما شاء أن يكتب به، ثم إذا رفعه عن الكتاب أمسك المداد»(٩٦) .

وتبين هذه الرواية كيف أن المعز لدين الله كان صاحب الفضل في صناعة هذا القلم،

وكيف أنه تابع تنفيذه وأمر بصناعته، حتى صار قلما صالحا للكتابة، وهو أمر يكشف عن أن تطوير القلم باختراع القلم النباع «قلم الحبر» كان على يد المسلمين، وتم ذلك في القرن ٤هـ/١٠م وأن هذا التطوير لا يرجع إلى القرن الثامن عشر كما يعتقد البعض(٩٧) .

وبالرغم من اختراع القلم النباع منذ عهد الخليفة المعز لدين الله، فإن الأقلام المصنوعة من القصب والتي تمد من الدواة ظلت شائعة الاستعمال، وساعد على ذلك توافرها وقلة تكلفتها وحسن إخراج الكتابة بها مع إتقان صناعتها.

وكان القلم لهذا كله من أعز الهدايا التي يتبادلها الأصدقاء والخلاّن من الكتاب وغيرهم(٩٨) كما أنه كان من أعز ما يمتلك الكاتب والأديب حتى أن هناك منهم من قرض فيه الشعر. ومن أطرف ما يقال في ذلك أن أحدهم رثى قلما سرق منه، وآخر حزن على كسر سن قلمه، وعبر عن حزنه بأبيات القصيد(٩٩).

ومما سبق يتضح دور المسلمين البارز في صناعة الأقلام وتطويرها، فهي أداة تسجيل **علوم حضارتهم التي ارتقت إلى أسمى درجات السمو، وكانت نبعا للحضارة الغربية الحديثة.**

●●●●●

أهم المصادر والمراجع:

- ابن المدبر (ابراهيم):
الرسالة العذراء: مصححة ومشروحة مع مقدمة مفصلة بالفرنسية عن فن الانشاء ومذاهب الكتاب في القرن الثالث بقلم د. زكي مبارك. مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣١ م.
- ابن النديم (أبو الفرج محمد بن اسحاق الوراق ت ٤٣٨) الفهرست.
- ابن حجر (الحافظ أحمد بن علي العسقلاني)
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. ط حيدر أباد. الهند سنة ١٣٤٨هـ ١٣٥هـ.
- ابن الوحيد (شرف الدين محمد بن شريف بن يوسف ٧١١هـ).
- شرح ابن الوحيد علي رائية ابن البواب. حققه وقدمه وعلق عليه هلال ناجي. مطبعة المنار. تونس. سنة ١٩٦٧م.
- ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد)
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. ط الميمنية بالقاهرة. ١٣١هـ.
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ) المقدمة. ط المدرسة.
- ابن سعيد (علي بن موسى).

النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة. القسم الخاص بالقاهرة من كتاب: المغرب في حلى المغرب، تحقيق د. حسين نصار. مطبعة دار الكتب ١٩٧٠ م.

- ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الانصاري) ت ٧١١هـ لسان العرب ج ١٢ ط.
- أبوبكر محمد وأبو عثمان سعيد ابني هاشم الخالديين:
  كتاب التحف والهدايا. تحقيق سامي الدهان. دار المعارف بمصر.
- البطليوسي (أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد ٤٤٤هـ /٥٢١هـ)
  الاقتضاب في شرح أدب الكتاب. القسم الأول الاستاذ مصطفى السقا ود.حامد عبد المجيد. الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨١.
- البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب - ت ٤٦٣هـ)
  تقييد العلم. تحقيق: يوسف العش. دمشق سنة ١٩٤٩ م.
- الصولى (أبوبكر محمد بن يحيي ت ٣٣٦هـ)
  أدب الكتاب. طبع المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤١ ه.
- القفطى (علي بن يوسف بن ابراهيم ت ٦٤٦هـ)
  أخبار العلماء بأخبار الحكماء. ط السعادة بالقاهرة سنة ١٣٢٦ ه.
- الكناني (أبو اسحق ابراهيم أبو الفضل سعد الله ابن جماعة ٧٣٣هـ)
  تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، نشر محمد هاشم الندوى. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان.
- القاضي (النعمان بن محمد ت ٣٦٣هـ)
  المجالس والمسايرات. تحقيق الحبيب الفقي، ابراهيم شبوح، محمد البعلاوى. المطبعة الرسمية بتونس.
- القلقشندي (أحمد بن علي)
  صبح الأعشى في صناعة الانشاء. المطبعة الأميرية.
- محمد مرتضى الحسيني
  حكمة الاشراف إلى كتاب الآفاق. مجموعة نوادر المخطوطات. المجلد الثاني من ٥ إلى ٨ سنة ١٩٧٣ تحقيق عبد السلام هارون.
- حسن الباشا (دكتور) وآخرون:
  القاهرة، تاريخها، فنونها، آثارها.مطابع الأهرام التجارية سنة ١٩٧٠.
- روبير اسكاربت:
  صناعة الكتاب بين الأمس واليوم
  ترجمة د. رجاء ياقوت صالح مراجعة د. عبد الأحد جمال الدين.
- عبد العزيز الدالي (دكتور)
  الخطاطة الكتابة العربية. مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٩٨٠ م.

- عبد العزيز صالح (دكتور)
التربية والتعليم في مصر القديمة
الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦ م .
- عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى:
الافصاح في فقه اللغة. جزآن
- عبدالله بن العباس الجراري:
تقدم العرب في العلوم والصناعات وأستاذ يتهم لأوروبا دار الفكر القاهرة سنة ١٩٦١ م
- فوزي سالم عفيفي:
الكتابة الخطية العربية ودورها الثقافي والاجتماعي
وكالة المطبوعات. الكويت
- محمد طاهر الكرى:
حسن الدعابة فيما ورد في الخط وأدوات الكتابة. القاهرة سنة ١٩٣٨م.
- محمد عبد الجواد الأصمعي:
تصوير وتجميل الكتب العربية في الاسلام. دار المعارف بمصر
- محمد فخرالدين:
تاريخ الخط العربي. القاهرة سنة ١٩٤١ م
- ناصرالدين الأسد (دكتور):
مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ط. دار المعارف. الطبعة السادسة

- Hassan Albasha : The Tenth Century Fountain Pen. (The Bulletin of the Egyptian Education Bureau, London, November-December, 1951.
- J. Cerny.
Paper and Book in Ancient Egypt, London, 1952.
- Wiet (Gastin), Catalogue General du Musee Arabe du Caire. Objets en Cuivre. Le Caira Inbrimerie du L institut Francais D Archeologie Oriental, 32.

الهوامش والتعليقات

(١) فرق بعض اللغويين بين ذبرت وزبرت، فقال زبرت بالزاى أي كتبت وذبرت بالذال أي قرأت (البطليوسي: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب/ق١/١٦٥) وقد رُوى أن أبا بكر رضي الله عنه دعى في مرضه بدواة ومزبر فكتب اسم الخليفة بعده، ووردت نصوص كثيرة تشير إلى استخدام هذه التسمية. (راجع ناصرالدين الأسد/مصادر الشعر الجاهلي/٩٩).

(٢) اليراع هو القضيب، والقضيب إذا برى، والذي يكتب به (عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى/الافصاح في فقه اللغة/ج ١/٢١٨).

(٣) المرجع نفسه ج ٢١٨/١ ووردت نصوص تشير إلى أنه في العصر الجاهلي كان الخط المجود المتقن يوصف بالترقيش والنمنمة و «الرقم» والوشم والتنميق وربما سمي القلم بالمرقم لأنه أداة الرقم أي الكتابة بخط جيد (راجع/ناصرالدين الأسد/المرجع نفسه/١٠١).

(٤) ابن منظور: لسان العرب/ج ١٢/مادة قلم .

(٥) قرآن كريم/سورة آل عمران/آية ٤٤ .

(٦) البطليوسي: المرجع نفسه ق ١٦٥/١ والصولي: أدب الكتاب/٨٧ .

(٧) القلقشندي: صبح الأعشى/ج ٤٥٠/٢ .

(٨) عبد العزيز الدالي: الكتابة العربية/١١٩.

(٩) قرآن كريم/سورة القلم/آية رقم/١.

(١٠) قرآن كريم/سورة العلق/آية رقم ٣-٤.

(١١) الصولي: أدي الكتاب/ص ٦٦-٦٨ وابن النديم/الفهرست/ص ١٢والقلقشندي: صبح الأعشى ج ٢/ص ٤٤٤-٤٤٩ .

(١٢) ابن المدبر: الرسالة العذراء/ص ٤٢.

(١٣) ابن المدبر: المرجع نفسه/٧٠، القفطي: أخبار العلماء/١٩٥، ابن حجر: الدار الكامنة/ج ٤٢٠/٣.

(١٤) من المرجع أنه كان من النحاس الذي شاع استعماله عند الفراعنة قبل الحديد .

(١٥) عبد العزيز الدالي: المرجع السابق/١١٩ وعبد العزيز صالح: التربية والتعليم في مصر القديمة/١٢٧ .

J. Cerny, Paper and Book in Ancient Egypt, p. 11. II .

١٦و١٧ د. ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي/ ٩٧ ـ ٩٨.

(١٨) البغدادي: تقييد العلم/١٠٥.

(١٩) القلقشندي: المرجع السابق/ج ٤٤٥/٢ .

(٢٠) استخدام القصب في صناعة الأقلام منذ العصر الفرعوني وكانت له السيادة بعد ذلك حتى أن كلمة Calam بالاتينية تعني البوص (روبير اسكاربيت: صناعة الكتاب بين الأمس واليوم/٢٢) والقصب كل نبات ساقه أنابيب وكعوب (عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى/المرجع السابق/ج ١١٠٣/٢، وانظر شكل رقم (١) .

(٢١) فوزي سالم عفيفي: الكتابة الخطية العربية/١٩٣.

(٢٢) روبير اسكاربيت: المرجع السابق/٢٢.

(٢٣) القلقشندي: المرجع السابق/ج ٤٥١/٢-٤٥٢.

(٢٤) أبو محمد بن علي بن الحسين (وقيل: الحسن) بن مقلة، ولد سنة ٢٧٢ ه ٨٨٥م وتوفي سنة ٣٢٨ ه (٩٣٩ م) وهو أول من هندس الحروف وقدر مقاييسها وأبعادها بالنقط، واستوزر للخليفة المقتدر بالله والقاهر بالله والراضي بالله وغضب عليه الاخير فقطع يده ثم لسانه ثم جسه حتى مات. ابن النديم/الفهرست/١٢ وابن خلكان/وفيات الاعيان/ج ٦١/٢.

(٢٥) الصولي: أدب الكتاب/٧١-٧٣ والقلقشندي/المرجع السابق ج ٤٥٤/٢ .

(٢٦) الصولي: المرجع السابق/٧١ والقلقشندي/المرجع السابق ج ٤٥٢/٢ .

(٢٧) القلقشندي/المرجع نفسه/ج ٤٥١/٢-٤٥٢.

(٢٨) القلقشندي/المرجع نفسه/ج ٤٥٤/٢ .

(٢٩) القلقشندي/المرجع نفسه/ج ٤٥٣/٢ .

(٣٠) القلقشندى/المرجع نفسه/ج ٢/٤٥٠ .

(٣١) الخط بلدة بالبحرين تجلب إليها الرماح القنا من الهند فتقوم فيها وتباع على العرب ياقوت. معجم البلدان. ج ٣./٤٤٩ زالقلقشندى: المرجع نفسه/ج ٢/١٤٠.

(٣٢) القلقشندى/المرجع نفسه/ج ٢/٤٥٣ .

(٣٣) الصولى: المرجع السابق/٧١-٧٣ والقلقشندى: المرجع السابق ج ٢/٤٥٢ .

(٣٤) الصولى: المرجع نفسه/٦٦-٦٨ .

(٣٥) انظر شكل رقم (١) .

(٣٦) البطليوسى: المرجع السابق/ق ١/١٦٥-١٦٦ والصولى: المرجع نفسه/٨٨ .

(٣٧) الجلفة: هي من القلم ما بين مبراه الى سنه (عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى/الافصاح في فقه اللغة/ج ٢١٨/١) .

(٣٨) الصولى/المرجع السابق/٧٧-٧٨ والقلقشندى/المرجع السابق/ج ٢/٤٥٤ ومحمد مرتضى/حكمة الاشراق/٧٢ .

(٣٩) محمد مرتضى/حكمة الاشراق/٧٠ وذكر ابن النديم أن «الأمم تختلف في بري أقلامها، فبري العبراني في غاية التحريف، وبري السرياني محرف إلى اليسار وربما كان إلى اليمين، وربما قلبوا القلم على ظهره، وربما شقوا قصبة، وبروا ذلك النصف وسموه صلبا وكتبوا به، وبري الرومي محرف إلى اليمين شديد التحريف لأنه يكتب من اليسار إلى اليمين، وبري الفارسي أن يكون سن قلمه مشعثا، إما أن يكون شعثه الكاتب بالأرض أو بأسنانه حتى يحسن به الخط، وربما كتبوا بأسفل قصبة غير مبرية، ويسمون هذه الأنبوبة خاما...، والصين يكتبون بالشعر يجعلونه في رؤوس الأنابيب، كما يعمل المصورون والعرب تكتب بسائر الأقلام والبرايا والمعمول على التحريف والكتاب يفضلون القلم غير محرف» (ابن النديم/الفهرست/٢٢) وتقول العرب «بريت القلم أبريه بريأ وبراية غير مهموز، وهو قلم مبري، وأنا بار للقلم (القلقشندى/المرجع السابق/ج ٢/٤٥٥)، ويقال لأداة التي يقلم بها القلم مقلم، والتي يبرى بها تسمى مبراه ولما يسقط من التقليم قلامه، ولما يسقط عند البرى البراية (البطليوسى. المرجع السابق ١٦٥-١٦٦) الصولى/المرجع السابق/٧٢ .

(٤٤) القلقشندى: المرجع السابق/ج ٢/٤٥٦.

(٤١) محمد مرتضى: المرجع السابق/٧٢.

(٤٢) القلقشندى: المرجع السابق/ج ٢/٤٥٥.

(٤٣) هي آلة أطلق عليها العرب عدة مسميات: فهي المدية، والصلب، والمجزأة والرميض والمذبح، والمبراة، والشلطاء، والمفراص، وآكلة اللحم، والسخين، والشلقاء. ويقا" 'لمانب السكين الذي يقطع به: الحد والغرب والغرو والغرار والذلق، ولجنبها الذي لا يقطع: الكل ولطرفها الذباب والظبة، والقرنة، وللذي يمسكه الكف منها: المقبض والنصاب، والعتر والجزأة، ويقال للمسمار الذي تشد به الحديدة في النصاب الشعيرة (البطليوسى/المرجع السابق/ق ١٧٤/١-١٧٥ وانظر شكل (١) .

(٤٤) قيل إن من هذه الأدوات الطريدة وهي قصبة فيها حزة توضع على المغازل والقداح فيبرى بها (عبد الفتاح الصعيدي وحسين موسى/المرجع السابق/ج ٢١٨/١).

(٤٥) الكنانى/تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم/١٠٩ وقد أشار إلى طريقة مناولة السكين لمن يقوم بالبري.

(٤٦ و ٤٧) الصولى: المرجع السابق/١١٥-١١٧ والقلقشندى: المرجع السابق/ج ٢/٤٦٧-٤٨٣.

(٤٨) ابن المدبر/المرجع السابق/٢٣.

(٤٩) الصولى: المرجع السابق/١١٥ .

(٥٠) ابن المدبر: المرجع السابق/٢٤ .

(٥١) ابن المدبر: المرجع السابق/٢٤ وهذا يتلاءم وأنسجة النبات إذ أن نموها يكون في هذا الاتجاه.

(٥٢) القلقشندى: المرجع السابق/ج ٢/٤٥٧ .

(٥٣) هو اسحاق بن ابراهيم بن عبدالله بن الصباح بن بشر بن سويد بن الأسود التيمي ثم السعيدي، ويكنى بأبى الحسين وله رسالة في الخط سماها (تحفة الوامق) وهو من أشهر الخطاطين هو وقومه. ابن النديم/الفهرست/١١ و ١٢.

(٥٤) القلقشندس/المرجع السابق/ج ٢/٤٥٧-٤٥٨ .

(٥٥) القلقشندى/المرجع السابق/ج ٢/٤٥٧-٤٥٨.

(٥٦) ابن البواب: هو أبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب، أخذ الخط في حداثته عن السمسماني وابن أسد وألف رسالة في الخط ولم يبق منها غير المقدمة وكان شبابهمزوقا يصور الدور ،دهانا في السقوف ثم صور الكتب واحترف الكتابة فتفوق وتوفي ببغداد سنة ٤١٣ ه ١٠٢٢ م ويروي أنه كتب أربعة وستين مصحفا (ابن خلكان وفيات الأعيان/ج ١/٣٤٦ ومحمد مرتضى: المرجع السابق/٨٥ .

(٥٧) محمد مرتضى: المرجع السابق/٨٥ .

(٥٨) هو جعل سن القلم الواحدة أعلى من الأخرى، والمقصود هنا أن تكون سن القلم اليمنى هي الطول (البطليوسى: المرجع السابق/١٦٩) .

(٥٩) القلقشندى: المرجع السابق/ج ٢/٤٥٩ .

(٦٠) يقول البطليوسى : «أن أخذت من القلم شحمته بالسكين قلت شحمته أشحمه شحماً، فإذا أفرطت الأخذ فيها قلت: بطنت القلم تبطينا، وحفرته حفراً وقلم مبطن محفور، واسم موضع الشحمة المنتزعة: الحفرة (المرجع السابق/١٦٨).

(٦١) يقال لطرفى القلم اللذين يكتب بهما السنان، أحدهما سن، والشعيرتان واحدتهما شعيرة (البطليوسى/المرجع السابق/١٦٧) .

(٦٢) إذا تركت شحمة القلم ولم يؤخذ منها شيء قلت: أشحمته اشحاماً ويقال للشحمة التي تحت برية القلم: الضرة، شبهت بضرة الابهام، وهي اللحمة في أصلها (البطليوسى: المرجع السابق/١٦٨/١٦٩) .

(٦٣) القلقشندى: المرجع السابق/ج ٢/٤٥٩ .

(٦٤) القلقشندى: المرجع السابق/ج ٢/٤٦٠ .

(٦٥) ابن المدبر: المرجع السابق/٢٤ .

(٦٦) إذا قطع طرف القلم بعد البري فيبيء للكتابة قيل قططته أقطه قطاً، وقضمته أقضمه قضماً، والمقط ما يقط به، والقط هو القطع بالعرض حيث أن القد هو القطع بالطول (البطليوسى: المرجع السابق/١٦٨) .

(٦٧) القلقشندى: المرجع السابق/ج ٢/٤٦٠ .

(٦٨) القلقشندى: المرجع السابق/ج ٢/٤٦٠، الصولى: المرجع السابق/٨٦ .

(٦٩) القلقشندى: المرجع السابق/ج ٢/٤٦١ .

(٧٠) الصولى: المرجع السابق/٧٢ .

(٧١) عماد الدين محمد بن عفيفالدين محمد الحلبى كان له دور بارز في تجويد الخط وعنه أخذ ابنه (محمد مرتضى: المرجع السابق/ص ٨٦) .

(٧٢) القلقشندى: المرجع الالسابق ج ٢ ص ٤٦٣ .

(٧٣) الصولى: المرجع السابق/١١٠ .

(٧٤) القلقشندى: المرجع السابق/ج ٢/٤٦٨ .

(٧٥) القلقشندى: المرجع السابق/ج ٢/٤٦٣ .

(٧٦) القلقشندى: المرجع السابق/ج ٢/٤٦٣ .

(٧٧) ابن المدبر: المرجع السابق/٦٤.

(٧٨) يزرع هذا النوع من القصب الآن في بلاد الهند والعجم (فوزي سالم عفيفي: المرجع السابق/١٩٣).

(٧٩) البرذون: دابة من جنس الخيل جافي الخلقة جلد على السير في الشعاب يستخدم في حمل الأثقال (عبد الفتاح الصعيدى وحسين يوسف موسى: المرجع السابق/ج ١٦٥/٢).

(٨٠) القلقشندى: المرجع السابق/ج ٤٦٤/٢.

(٨١) القلقشندى: المرجع السابق/ج ٤٦٥/٢.

(٨٢) ابن المدبر: المرجع السابق/٢٣.

(٨٣) القلقشندى: المرجع السابق/ج ٤٥٤/٢، محمد مرتضى: المرجع السابق/ص ٧٢.

(٨٤) ابن خلدون: المقدمة: ج ٧٥٢/٢.

(٨٥) هو شرفالدين محمد بن شريف بن يوسف المعروف بأن الوحيد توفي ٧١١ ه – ابن خلكان – وفيات الأعيان. ج ٣٤٥/١، ابن العماد/شذرات الذهب/ج ١٩٩/٣.

(٨٦) ابن الوحيد: شرح ابن الوحيد على رائية ابن البواب/حققه وقدم له وعلق عليه هلال ناجي.

(٨٧) الدواة يقال لها الرقيم والنون فقد قال بعض المفسرين في قوله عز وجل «نّ والقلم وما يسطرون» انها الدواة، وهي وعاء المداد واتخذت مقاييس مناسبة لاستخدام القلم كما أنها زخرفت وجملت بشتى أنواع الزخارف وتنوعت المواد التي تصنع منها لكنها كانت من المعدن غالباً (راجع الصولى: المرجع السابق/٩٢–١٠٠، والقلقشندى: المرجع السابق/ج ٤٤٠/٢–٤٤٣، حسن الباشا – القاهرة تاريخها، فنونها، آثارها.

(٨٨) المداد: سمى بذلك لأنه يمد القلم أي يعينه وقد أشارت كثير من المصادر إلى طرق صناعته والمواد التي يتركب منها ونسب تركيبه، راجع على سبيل المثال (ابن المدبر/المرجع السابق/٢٣، القلقشندى/المرجع السابق/ج٢ ص ٤٧٥/٤٧٧، الصولى/المرجع السابق/١٠٠–١٠٨).

(٨٩) يقال لها الوقيعة، وتسمى عند البعض المسحة، وتسمى أيضاً الدفتر وهي آلة تتخذ من خرقة متراكبة ذات وجهين ملونين من صوف أو حرير أو غير ذلك من نفيس القماش ويمسح القلم بباطنها بعد الكتابة لئلا يجف عليه الحبر فيفسد، والغالب أن هذه الآلة تكون مدورة مخرومة في الوسط وربما كانت مستطيلة (القلقشندى/المرجع السابق/ق ٤٨١/١).

(٩٠) البطليوسى: المرجع السابق/ق ١٦٩/١.

(٩١) يوجد العديد من المقلمات موزعة بين متاحف العالم والمجموعات الخاصة وتنتمي هذه المقلمات إلى بلاد وعصوراً مختلفة ابتداء من القرن ٦ ه/١٢ م إلى القرن ١٢ ه/١٨ م.

Wiet : Catalogue General du Musee Arabe du Caire, Objects en Cuivre.

(٩٢) هذه التحفة وردت إلى المتحف عن طريق الاهداء ومسجلة برقم ٣٣٣١ انظر لوحة رقم (١).

(٩٣) هذه التحفة وردت إلى المتحف عن طريق الشراء ومسجلة برقم ٤٤٦١، انظر لوحة رقم (٢).

(٩٤) زكى محمد حسن: أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية، شكل رقم (٥١٩) وهذه التحفة مسجلة في سجلات المتحف برقم (٧٢١ ع).

(٩٥) تتخذ هذه الآلة من خرق الكتان بطانة وظهارة أو من صوف ونحوه. القلقشندى: المرجع السابق/ج ٤٨١/٢.

(٩٦) القاضي النعمان: المجالس والمسايرات/٣١٩–٣٢٠.

(٩٧) فوزي سالم عفيفي: المرجع السابق/٢٠٦، عبد الله بن العباس الجرارى: تقدم العرب في العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوروبا/٢١٤. وقد أشار د. حسن الباشا إلى أن هذا القلم صنع للمعز عندما كان خليفة الفاطميين في مصر.

– The Tenth Century Fountain Pen, The Bulletin of Egyptian Education Buréau, London, pp. 88-129.

بينما يرى آخرون أنه صنع للمعز عندما كان خليفة الفاطميين في شمال افريقية قبل قدومه إلى مصر، حيث أن النص لم يذكر صراحة أنه صنع في مصر، ويعللون ذلك بأن فترة خلافة المعز قبل قدومه إلى مصر كانت أطول، وهو تعليل غير مقبول منطقيا، حيث أن صناعة القلم لم تستغرق سوى بضعة أيام كما هو واضح من النص، ويمكن أن تكون صناعته قد تمت في مصر أو في افريقية (القاضي النعمان: المجالس والمسايرات ص ٣٢٠/هامش ١) وكان للمسلمين فضل السبق في اختراع القلم النباع حيث أن أول قلم من هذا النوع في أوروبا هو قلم F. B. Forlsh سنة ١٨٠٩ ثم قلم J. Scheffr. سنة ١٨١٩ م

(٩٨) **بالاضافة إلى القلم الذي صنعه S. H. Leius والذي صنع له خزانا من المطاط وكان في ذلك سنة ١٨١٩ م (راجع دائرة المعارف الايطالية مادة Penna ج ٢٦/ص ٦٨ ٢ ـ أبوبكر محمد وعثمان ابنى هاشم. كتاب التحف والهدايا/ص ١٩٢، ٢٠٨، ٢١٧، ١٤١**

(٩٩) الصولي: المرجع السابق/٧٢/٨٦

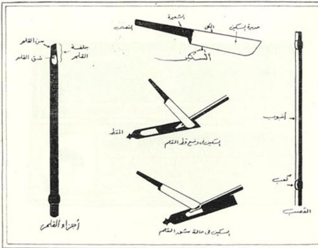

الشعيرة
النصاب
الحد
حديدة السكين
السكين
سن القلم
جلفة القلم
شق القلم
أنبوب
المقط
السكين في وضع قط القلم
كعب
السكين في حالة شحو القلم
القصب
أجزاء القلم

شكل (١)

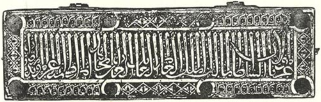

N° 4361. — Écritoire au nom du sultan Muhammad (764/1363).

لوحة ٢أ عن ڤييت

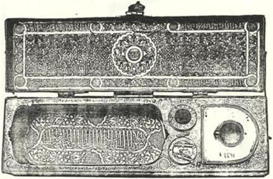

Intérieur de l'écritoire précédente.

لوحة ٢ب عن ڤييت